جميـل بن معمّـر

(جميل بثينة)

شاعرٌ حجازيٌ من قبيلة عذرة، يُدعى جميل بن معمر ولد ونشأ في وادي القرى قرب المدينة وتوفي في مصر سنة 82 للهجرة

جميل بن معمّر

تـو. 701م

شاعرٌ حجازيٌ من قبيلة عذرة، يُدعى جميل بن معمر. نشأ في وادي القرى على مقربةٍ من المدينة، في أسرةٍ ذات سعة، وبيئةٍ تعيش على البداوة، وتستدرّ رزقها من الأرض والمواشي، وتحيا محافظةً على الشّرف ومنعة العرض وتقاليد الوفاء والعهود.

أحبّ جميل ابنة عمٍّ له تُدعى "بثينة" منذ كانا صغيرين يرعيان الإبل والماشية، وذلك حين ضرَبَت بُثينة إبَلاً صغارًا له، وسبّته فَحَلا في سمعه سبابها. وفي هذه الحادثة يقول:

وأوّل ما قاد المودّة بيننـا بوادي بفيضٍ يا بُثَينَ سَبابُ

فقُلنا لها قولاً فجاءت بمثله لكلّ سـؤال يا بثَيْنَ جوابُ

كان ذلك بداية غرامٍ نَما في قلب جميل، فلما بلغ أشدّه، خطبها إلى أهلها، وكان قد شبّب بها، فرفض أهلها تزويجها منه، على عادة العرب، مخافة أن يظنّ الناس أن تصريحه بحبها في شعره كان لصلةٍ بها قبل الزّواج، فيلحق بهم العار.

اشتدّ الوله بجميل، وأصرّ على قول الشّعر ببثينة، فلامه النّاس، فلم ينفع معه اللّوم، فما كان من أهل بثينة إلاّ أن زفوها إلى رجلٍ آخر. ازدادت بذلك آلام جميل، وظلّ على شغفه بها، يذكُرُها في شعره ويتردّد إلى ديارها، فشكاه أهلها إلى والي المدينة مروان بن الحكم الذّي أهدر دمه. فمضى الشّاعر هاربًا يطوي النّفس على جرح من الحبّ، وخوفٍ من شرّ الوالي.

وفي آخر حياته، سافر إلى مصر حيث مات سنة 82 هـ- وهو على حبّه القديم، حتى ارتبط اسمه باسم حبيبته فعُرفَ بأنه: جميل بثينة.

وجميل بثينة يُعتبَر من مشاهير الشّعراء العُذريّين الذين عُرفوا بالغزل العفيف القائم على نوعٍ من الحبّ الرّوحي البعيد عن رغبات الجسد، ويمتاز بالإخلاص لمحبوبةٍ واحدةٍ. ولعلّ خير ما يعبّر عن هذا النوع من الحبّ قولُ جميل:

يموتُ الهوى منّي إذا ما لقيتُها ويحيا إذا فارقتُها فيعودُ

وجاء في "وفيات الأعيان" لابن خلكان: هو أبو عمر وجميل بن عبد الله بن معمر بن صباح - بضم الصاد المهملة - ابن ظبيان بن حن - بضم الحاء المهملة وتشديد النون - ابن ربيعة بن حرام بن صبة ابن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد بن هديم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحاف بن قضاعة الشاعر المشهور؛ صاحب بثينة أحد عشاق العرب، عشقها وعو غلام، لما كبر خطبها فرد عنها فقال الشعر فيها، وكان يأتيها سراً ومنزلهما وادي القرى، وديوان شعره مشهور فلا حاجة إلى ذكر شيء منه.

ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق وقال: قيل له: لو قرأت القرآن كا أعود عليك من الشعر، فقال: هذا أنس بن مالك رضي الله عنه أخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن من الشعر لحكمة.

وجميل وبثينة كلاهما من بني عذرة، وكانت بثينة تكنى أم عبد الملك، والجمال والعشق في بني عذرة كثير؛ قيل لأعرابي من العذريين: ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تنماث كما ينماث الملح في الماء أما تتجلدون فقال: إنا ننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها، وقيل لآخر: ممن أنت فقال: أنا من قوم إذا أحبوا ماتوا، فقالت جارية سمعته: هذا عذري ورب الكعبة.

وذكر صاحب اغاني أن كثير عزة كان راوية جيمل، وجميل كان راوية هدبة بن خشرم وهدبة راويةالحطيئة، والحطيئة راوية زهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير.

ومن شعر جميل من جملة أبيات

وخبرتمانـي أن تـيمـاء مـنـزل لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت فما النوى ترمي بليلى المـرامـيا

ومن الناس من يدخل هذه الأبيات في قصيدة مجنون ليلى، وليست له وتيماء خاصة: منزل لبني عذرة، وفي هذه القصيدة يقول جميل:

وما زلتم يابثن حتى لـو انـنـي من الشوق استبكي الحمام بكى ليا
ومازادني الواشون إلا صـبـابة ولا كثرة الناهين إلا تـمـاديا
وما أحدث النأي المفرق بـيـنـنـا سلوا ولا طول الليالي تـقـالـيا
ألم تعلمي ياعذبة الـريق أنـنـي أظل إذا لم ألق وجهك صـاديا
لقد خفن ان أقى المنـية بـغـتة وفي النفس حاجات إليك كما هيا

وكان كثير عزة يقول: جميل والله أشعر العرب حيث يقول:

وخبرتماني أن تـيمـاء مـنـزل لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا

ومن شعره:

إني لأحفظ سركم ويسرنـي لو تعلمين بصالح أن تذكري
ويكون يوم لا أرى لك مرسلا أو نلتقي فيه علي كأشهر
ياليتني أقلى المنـية بـغـتة إن كان يوم لقائكم لم يقـدر

ومنها:

يهواك ماعشت الفؤاد وإن أمت يتبع صداي صداك بين الأقبر

ومنها:

إني إليك بما وعدت لـنـاظـر نظر الفقير إلى الغي المكثـر
يقضـي الديون وليس ينجز موعداً هذا الغريم لنا وليس بمعسـر
ما أنت والوعد الذي تعدينـنـي إلا كبرق سحابة لم تـمـطـر

زمن شعره من جملة قصيدة:

إذا قلت ما بي يا بثـينة قـاتـلـي من الوجد قـالـت ثـابـت ويزيد

وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به بثينة قالت ذاك منك بعيد

ومن شعره أيضاً:

وإني لأرضى من بثينة بالذي لواستيقن الواشي لقرت بلابله
بلا وبألا أستطيع وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
و بالنظرة العجلى وبالحول تنقضي أوآخره لا نلتقي وأوائله

وله أيضاً:

وإني لأستحيي من الناس أن أرى رديفاً لوصل أو علي رديف
وأشرب رنقا منك بعد مودة وأرضى بوصل منك وهو ضعيف
وإني للماء المخالط للقذى إذا كثرت وراده لعيوف

وله م أبيات أيضاً

بعيد على من ليس يطلب حاجةً وأما على ذي حاجة فقريب
بثينة قالت يا جميل أريتني فقلت كلانا يابثين مريب
وأريبنا من لا يؤدي أمانة ولا يحفظ الأسرار حين يغيب

وقال كثير عزة: لقيني مرة جميل بثينة فقال: من أين أقبلت فقلت: من عند أبي الحبيبة، يعني بثينة، فقال: وإلى أين تمضي قلت إلى الحبيبة، يعني عزة، فقال: لا بد أن ترجع عودك على بدئك فتتخذ لي موعداً من بثينة، فقلت: عهدي بها الساعة، وأنا أستحيي أن أرجع، فقال لابد من ذلك، فقلت: متى عهدك ببثينة فقال: من أول الصيف، وقعت سحابة بأسفل وادي الدوم فخرجت ومعها جارية لها تغسل ثيابا، فلما أبصرتني أنكرلاتني، فضربت يدها إلى الثوب في الماء بالتحفت به، وعرفتني الجاريةفأعادت الثوب إلى الماء، وتحدثنا ساعة حتى غابت الشمس، فسألتها الموعد فقالت: أهلي سائرون، ولا لقيتها بعد ذلك، ولا وجدت أحدا آمنه فأرسله إليها، فقال له كثير: فهل لك أن آتي الحي فأتعرض بأبيات شعر أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخوة بها قال: وذاك الصواب، فخرج كثير حتى أناخ بهم، فقال له أبوها: ماردك يا ابن أخي قال: قلت أبياتاعرضت فأحببت أن أعرضها عليك، قال: هاتها، فأنشدته وبثينة تسمع::

فقلت لها ياعز أرسل صاحبي إليك رسولاً والرسول موكل
بأن تجعلي بيني وبينك موعداً وأن تأمريني بالذي فيه أفعل
آخرى عهدي منك يوم لقيتني بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

قال: فضربت بثينة جانب خدرها وقالت: أخسأ اخسأ، فقال لها أبوها: مهيم بابثينة فقالت كلب يأتينا إذا نوم الناس من وراء الرابية، ثم قالت للجارية: ابغينا من الدومات حطبا لنذبح لكثير شاة ونشويها له، فقال كثير: أنا أعجل من ذلك، وراح إلى جميل فأخبره، فقال جميل: الموعد الدومات.

وخرجت بثينة وصواحبها إلى الدومات، وجاء جميل وكثير إليهن، فما برحوا حتى برق الصبح، فكان كثير يقول: مارأيت مجلسا قط أحسن من ذلك المجلس، ولا مثل علم أحدهما بضمير الأخر، ما أدري أيهما كان أفهم.

وقال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير: قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: أنشدني أبي هذه الأبيات لجميل بن معمرقال: وتروى لغيره أيضاً، وهي:

مازلت أبغي الحي أتبع فلـهـم حتى دفعت إلى ربـيبة هـودج
فدنوت مختفيا ألـم بـيتـهـا حتى ولجت إلى خفي المولـج
فتناولت رأسي لتعرف مـسـه بمخضب الأطراف غير مشنـج
قالت: وعيش أخي ونعمة والدي لأنبهن القوم إن لـم تـخـرج
فخرجت خيفة قولها فتبسـمـت فعلمت أن يمينها لم تـلـجـج
فلثمت فاهاً آخذاً بـقـرونـهـا شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

قال هارون بن عبد الله القاضي: قدم جميل بن معمر مصر على عبد العزيز ابن مروان ممتدحاً له، فأذن له وسمع مدائحه وأحسن جائزته، وسأله عن حبه بثينة فذكر وجدا كثيراً، فوعده فيأمرها وأمره بالمقام وأمر له بمنزل وما يصلحه، فما أقام إلا قليلاً حتى مات هناك في سنة اثنتين وثمانين.

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي قال: بينا أنا بالشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال: هل لك في جميل فإنه يعتل نعوده فدخلناعليه وهو يجود بنفسه، فنظر إلي وقال: يا ابن سهل، ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن يإله إلا الله قلت: أظنه قد نجا وأرجوا له الجنة، فمن هذا الرجل قال: أنا، قلت له: والله ما أحسبك سلمت وأنت تشبب منذ عشرين سنة ببثينة، قال: لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها لريبة، فما برحنا حتى مات.

وقال محمد بن أحمد بن جعفر الأهوازي: مرض جميل بمصر مرضه الذي مات فيه، رحمه الله تعالى، فدخل عيه العباس بن سهل الساعدي، وذكر هذه الحكاية، والله أعلم بالصواب.

وذكر في الأغاني عن الأصمعي قال: حدثني رجل شهد جميلاً لما حضرته الوفاة بمصر أنه دعا به فقال له: هل لك أن أعطك كل ما أخلفه على أن تفعل شيئاً أعهده إليك قال: فقلت: اللهم نعم، فقال: إذا أنامت فخذ حلتي هذه واعزلها جانباً، وكل شيء سواها لك، وارحل إلى رهط بثينة، فإذا صرت إليهم فارتحل ناقتي هذه وركبها، ثم ألبس حلتي هذه واشققها، ثم اعل على شرف وصح بهذه الأبيات وخلاك ذم:

صرخ النعي وما كنى بجمـيل وثوى بمصر ثواء غير قفـول
ولقد أجر البرد في وادي القرى نشوان بين مزارع وتـخـيل
قومي بثينة فاند بـي بـعـويل وابكي خليلك دون كل خـليل

قال: ففعلت ما أمرني به جميل، فما استتمت الأبيات حتى برزت بثينة كأنها بدر قد بدا في دجنة وهي تتثنى في مرطها حتى أتتني وقالت: يا هذا، والله إن كنت صادقا لقد قتلتني، وإن كنت كاذبا لقد فضحتني، قلت: والله ما أنا إلا صادق، وأخرجت حلته، فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها، واجتمع نساء الحي يبكين معها ويندبنه حتى صعقت. فمكثت مغشيا عليها ساعة ثم قامت وهي تقول:

وإن سلوي عن جمـيل لـسـاعة من الدهر ما حانت ولاحان حينها
سواء علينا يا جميل بن معـمـر إذا مت بأساء الحياة ولـيـنـهـا

وقد تقدم ذكر هذين البيتين في ترجمة الحافظ أبي طاهر أحمد السلفي، قال الرجل: فما رأيت أكثر باكياً ولا باكية من يومئذ.

الديوان

وما عَرّ جوّاسُ اسْتها إذ يَسبّهم،

وما عَرّ جوّاسُ اسْتها إذ يَسبّهم،

بصَقْرَيْ بني سُفيانَ، قيسٍ وعاصِمِ

هما جرداً أمَّ الحسين، وأوقعا،

أمرّ وأدهَى من وقيعةِ سالمِ

أنا جمِيلٌ في السّنامِ الأعظمِ،

أنا جمِيلٌ في السّنامِ الأعظمِ،

الفارِعِ النّاسَ، الأعزّ الأكرم

أحمي ذِماري، ووجدتُ أقرُمي،

كانوا على غاربِ طودٍ خضرمِ

لعَمري، لقد حسّنْتِ شَعْباً إلى بَدَا

لعَمري، لقد حسّنْتِ شَعْباً إلى بَدَا

إليّ، وأوطاني بلادٌ سواهما

حللتَ بهذا حلةً، ثمّ حلةً

بهذا، فطابَ الواديانِ كِلاهُما

حلفتُ بربّ الراقصات إلى منىّ،

حلفتُ بربّ الراقصات إلى منىّ،

هُويَّ القَطا يَجْتَزْنَ بطنَ دفِين

لقد ظنَ هذا القلبُ أن ليسَ لاقياً،

سليمى ، ولا أمَّ الحسين لحين

فليتَ رجالاً فيكِ قد نذروا دمي،

!وهَمّوا بقتلي، يا بُثَينَ، لقُوني

إذا ما رأوني طالعاً من ثنيةٍ ،

يقولون: من هذا وقد عرفوني

!يقولون لي: أهلاً وسهلاً ومرحباً

ولو ظفروا بي خالياً، تلوني

وكيف، ولا توفي دماؤهم دمي،

ولا مالُهم ذو ندهةٍ فيدوني

وغرَّ الثنايا، من ربيعةَ ، أعرضت،

حروبُ معدٍ دونهنّ ودوني

تَحَمّلْنَ من ماءِ النُّديّ كأنما

تَحَمّلَ من مُرْسًى ثِقالُ سَفين

كأنّ الخُدورَ أولجتْ، في ظِلالِها،

ظِباءَ المَلا ليست بذاتِ قُرون

إلى رجحَ الأعجاز، حورٍ نمى بها،

مع العِثْقِ والأحساب، صالحُ دِين

يبادِرنَ أبوابَ الحِجال كما مشى

حمَامٌ ضُحًى في أيْكةٍ ، وفنون

سددنَ خصاصَ الخيمَ، لما دخلنهُ،

بكلّ لبَانٍ واضح، وجبين

دعوتُ أبا عمرٍو، فصدّق نَظرتي،

وما ان يَراهنّ البصيرُ لحِين

وأعرضَ ركنٌ من أحامرَ دونهم،

كأنّ ذراهُ لفعتْ بسدين

قرضنَ، شمالاً، ذا العشيرةِ كلها،

وذاتَ اليمين، البُرقَ بُرْقَ هَجين

وأصعدنَ في سراءَ، حتى إذا انتحتْ

شَمالاً، نَحا حادِيهمُ ليَمِين

وقال خليلي: طالعاتٌ من الصّفَا،

فقلت: تأمّلْ، لسنَ حيثُ تريني

ولو أرسلتْ، يوماً، بُثينةُ تبتغي

يميني، ولو عزّت عليّ يميني

لأعطيتها ما جاءَ يبغي رسولها،

وقلتُ لها بعد اليمين: سليني،

سليني مالي ، يا بثينَ، فإنّما

يُبيَّنُ، عند المال، كلُّ ضَنين

فما لكِ، لمّا خَبّر الناسُ أنني

غدرتُ بظهرِ الغيبِ، لم تسليني

فأبليَ عُذراً، أو أجيءَ بشاهِدٍ،

من الناسِ، عدلٍ أنهم ظلموني

بُثينَ، الزمي لا، إنّ لا، إن لزمتِه،

على كثرة الواشينَ، أيُّ معون

لحا الله من لا ينفعُ الوعدُ عنده،

ومَنْ حَبلُه، إن مُدّ، غيرُ متين

ومن هو ذو وجهين ليس بدائمٍ

على العهدِ، حلاف بكلّ يمينِ

ولستُ، وإن عزّت عليّ ، بقائلٍ

إلها بعد صَرمٍ: يا بُثَينَ، صِليني

شهدتُ بأني لم تَغَيّر مودّتي،

شهدتُ بأني لم تَغَيّر مودّتي،

وأني بكم، حتى الممات، ضنينُ

وأنّ فؤادي لا يلينُ إلى هوى

سواكِ، وإن قالوا: بلى ، سيلينُ

فَقَدْ بَانَ أيَّام الصِّبَا ثُمَّ لَمْ يَكَدْ،

مِنَ الدَّهْرِ، شَيْءٌ، بَعْدَهُنَّ، يَلِينُ

ولمّا علونَ اللابتين، تشوفت

قلوبٌ إلى وادي القُرى ، وعيونُ

كأنّ دموعَ العين، يومَ تحملتْ

بُثينةُ، يسقِيها الرِّشاشَ مَعِينُ

ظعائِنُ، ما في قُرْبهنّ لذي هوًى

من الناس ، إلا شقوةٌ وفنونُ

وواكلنهُ والهمَّ، ثمّ تركنه،

وفي القلبِ ، من وجد بهنّ ، حنين

ورُحنَ، وقد أودَعنَ قلبي أمانةً

لبثينةَ: سرٌّ في الفؤاد ، كمينُ

كسِرّ النّدى ، لم يعلم الناسُ أنّه

ثَوَى في قَرَارِ الأرضِ وهو دَفين

إذا جاوزَ الاثنين سرٌّ، فإنه،

بنَثٍّ وإفشاءِ الحديثِ، قَمِين

تُشيِّبُ رَوعاتُ الفِراق مفَارقي،

وأنشَزنَ نفسي فوقَ حيثُ تكون

فوا حسرَتا! إنْ حِيلَ بيني وبينها،

!ويا حينَ نفسي، كيف فيكِ تحينُ

وإني لأستغشي، وما بيَ نَعسةٌ

لعلّ لِقاءً، في المنام، يكون

فإن دامَ هذا الصّرمُ منكِ، فإنني

لأغبرها، في الجانبينَ، رهينُ

يقولون: ما أبلاكَ، والمالُ عامرٌ

عليك، وضاحي الجلد منك كنِين

فقلت لهم: لا تَعذُلوني، وانظُروا

إلى النازعِ المقصورِ كيف يكونُ

أرى كلّ معشوقين، غيري وغيرَها،

أرى كلّ معشوقين، غيري وغيرَها،

يَلَذّان في الدّنيا ويَغْتَبطان

وأمشي ، وتمشي في البلادِ، كأننا

أسِيران، للأعداءِ، مُرتَهَنان

أصلي، فأبكي في الصلاةِ لذكرها،

ليَ الويلُ ممّا يكتبُ الملكان

ضَمِنْتُ لها أنْ لا أهيمَ بغيرِهَا،

وقد وثقتْ مني بغيرِ ضمان

ألا، يا عبادَ الله، قوموا لتسمعوا

خصومةَ معشوقينِ يختصمان

وفي كل عامٍ يستجدان، مرةً،

عتاباً وهجراً، ثمّ يصطلحان

يعيشان في الدّنْيا غَريبَين، أينما

أقاما، وفي الأعوامِ يلتقيان

وما صادياتٌ حمنَ، يوماً وليلةً،

على الماءِ، يُغشَيْنَ العِصيَّ، حَواني

لواغبُ، لا يصدرنَ عنه لوجهةٍ

ولا هنّ من بَردِ الحِياضِ دَواني

يرين حبابَ الماءِ، والموتُ دونه،

فهنّ لأصواتِ السُّقاةِ رَواني

بأكثرَ منّي غلّةً وصبابةً

إليكِ، ولكنّ العدوّ عَداني

وهما قالتا: لو انّ جميلاً

وهما قالتا: لو انّ جميلاً

عرض اليومَ نظرةً، فرآنا

بينما ذاك منهما، رأتاني

أعملُ النّصَّ سيرةً زفيانا

نظرتْ نحو تربها، ثمّ قالتْ:

قد أتانا ، وما علمنا ، منانا!

يا عاذليّ، من الملامِ دعاني،

يا عاذليّ، من الملامِ دعاني،

إنّ البليةَ فوقَ ما تصفاني

زعمتْ بثينةُ أنّ فرقتنا غداً

لا مرحباً بغدٍ، فقد أبكاني

فيا بثنَ، إن واصلتِ حجنةَ ، فاصرمي

فيا بثنَ، إن واصلتِ حجنةَ ، فاصرمي

حبالي، وإن صارمتِهِ، فصلِيني

ولا تجعلِيني أسوةَ العبدِ، واجعلي،

!مع العبدِ، عبداً مثلَه، وذَريني

يا أمّ عبد الملكِ اصرميني

يا أمّ عبد الملكِ اصرميني

فبيني صرميَ ، أو صليني

أبكي، وما يُدريكِ ما يبكيني،

أبكي حِذاراً أن تُفارقيني

وتجعلي أبعدَ مني دوني،

إنّ بني عمّكِ أوعدوني

أن يقطعوا رأسي ، إذا لقوني

ويقتلوني، ثم لا يدوني

كلا ، وربِّ البيتِ، لو لقوني

!شَفعاً ووَتراً، لَئواكَلوني

قد علم الأعداءُ أنّ دوني

ضرباً، كإيزاغ المَخاضِ الجُونِ

ألا أسُبُّ القومَ، إذ سَبّوني

بلى ، وما مرّ على دَفِينِ

وسابحاتٍ بِلوى الحَجُونِ،

قد جرّبوني، ثمّ جَرّبوني

حتى إذا شابُوا وشَيّبُوني،

!أخزاهمُ اللهُ، ولا يخزيني

أشباهُ أعْيارٍ على مَعِينِ،

أحسسنَ حسَّ أسدٍ حرونِ

فهنّ يضرطنَ من اليقينِ،

!أنا جَمِيلٌ، فتَعَرّفُوني

وما تقنّعتُ، فتنكروني،

وما أُعَنّيكُمْ، لتسألوني

أنمي إلى عاديةٍ طحونِ،

ينشقُّ عنها السيلُ ذو الشؤونِ

غمرٌ ، يدقُّ رجحَ السفينِ،

ذو حَدَبٍ، إذا يُرى ، حَجُونِ

أنا جمِيلٌ، والحجازُ وطني،

أنا جميلٌ، والحجازُ وطني،

فيه هوى نفسي، وفيه شجني

يا ابن الأبَيرق، وَطْبٌ بتَّ مُسنِدَه

يا ابن الأبَيرق، وَطْبٌ بتَّ مُسنِدَه

إلى وسادكَ ، من حمّ الذرى جون

وأكلتان، إذا ما شئتَ مرتفقاً

بالسير، من نَغِلِ الدَّفَّين مَدهُون

اذكرْ، وأمّكَ مني، حين تنكبني

جنّي، فيَغلِبُ جنّي كلَّ مجنون

خليليّ، إن قالت بثينةُ: ما لهُ

خليليّ، إن قالت بثينةُ: ما لهُ

أتانا بلا وعدٍ فقولا لها: لها

أتى ، وهو مشغُولٌ لعُظمِ الذي به،

ومن بات طولَ الليل، يرعى السهى سها

بثينةُ تُزري بالغزالةِ في الضّحى ،

إذا برزت ، لم تبق يوماً بها بها

لها مقلةٌ كَحلاءُ، نَجْلاءُ خِلقَةً،

كأنّ أباها الظبيُ، وأمها مها

دهنتني بودٍ قاتلٍ، وهو متلفي،

وكم قتلتْ بالودّ من ودّها ، دها

ورُبّ حبالٍ، كنتُ أحكمتُ عَقدَها،

ورُبّ حبالٍ، كنتُ أحكمتُ عَقدَها،

أُتِيحَ لها واشٍ رَفِيقٌ، فحَلّها

فعدنا كأنّا لم يكن بيننا هوىً ،

وصارَ الذي حَلّ الحِبالَ هوًى لها

وقالوا: نراها ، يا جميلُ، تبدّلتْ،

!وغيرها الواشي؛ فقلتُ: لعلها

أتانيَ عن مَروانَ، بالغَيبِ أنّه

أتانيَ عن مَروانَ، بالغَيبِ أنّه

مُقيِّدٌ دمِي، أو قاطِعٌ من لِسانيا

ففي العِيسِ منجاةٌ وفي الأرض مذهَبٌ

إذا نحنُ رفعنا لهنّ المثانيا

وردّ الهوى اثنانُ، حتى استفزني،

من الحبِّ، مَعطوفُ الهوى من بلاديا

أقولُ لداعي الحبّ ، والحجرُ بيننا،

ووادي القُرى : لبّيك! لمّا دعانيا

وعاودتُ من خِلّ قديمٍ صبابتي،

وأظهرتُ من وجْدي الذي كان خافيا

وقالوا: بهِ داءٌ عَياءٌ أصابه،

وقد علمتْ نفسي مكانَ دوائيا

أمضروبةٌ ليلى على أن أزورَها،

ومتخذٌ ذنباً لها أن ترانيا

هي السّحرُ، إلاّ أنّ للسحر رُقْيةً ،

وإنيَ لا ألفي لها، الدهرَ ، راقيا

أُحِبّ الأيامَى ، إذ بُثينةُ أيّمٌ،

وأحببتُ، لما أن غنيتِ ، الغوانيا

أُحِبّ من الأسماءِ ما وافَقَ اسمَها،

وأشبهُهُ، أو كانَ منه مدانيا

وددتُ ، على حبِّ الحياةِ، لو أنها

يزاد لها، في عمرها ، من حياتنا

وأخبرتماني أنّ تَيْمَاءَ مَنْزِلٌ

لليلى ، إذا ما الصيفُ ألقى المراسيا

فهذي شُهور الصيفِ عنّا قد انقضَتْ،

فما للنوى ترمي بليلى المراميا

وأنتِ التي إن شئتِ أشقيتِ عيشتي،

وإنْ شئتِ، بعد الله، أنعمتِ بالِيا

وأنتِ التي ما من صديقٍ ولا عدا

يرى نِضْوَ ما أبقيتِ، إلاّ رثى ليا

ومازلتِ بي، يا بثنَ، حتى لوانني،

من الوجدِ أستبكي الحمامَ ، بكى ليا

إذا خدرتْ رجلي، وقيل شفاؤها

دُعاءُ حبيبٍ، كنتِ أنتِ دُعائِيا

إذا ما لَدِيغٌ أبرأ الحَلْيُ داءهُ،

فحليكِ أمسى ، يا بثينةُ ، دائيا

وما أحدَثَ النأيُ المفرِّقُ بيننا

سلواً ، ولا طولُ اجتماعٍ تقاليا

ولا زادني الواشونَ إلاّ صبَابةً،

ولا كثرةُ الواشينَ إلاّ تماديا

ألم تعلمي يا عذبةَ الريق أنني

أظلُّ ، إذا لم ألقَ وجهكِ ، صاديا

لقد خِفْتُ أن ألقَى المنيّةَ بَغتَةً،

وفي النفس حاجاتٌ إليكِ كما هيا

وإني لينسيني لقاؤكِ، كلما

لقِيتُكِ يوماً، أن أبُثّكِ ما بيا